ثنائيّة اللّفظ والمعنى عند أبي هلال العسكري

The duality of pronunciation and meaning according to Abu Hilal Al Askari

د. حسين الاكحل[1]
جامعة عمار ثليجي الأغواط
مخبر اللغة العربية وآدابها
Lakehalhocine3@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/12/22 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05
Received 22/12/2022 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخّص :

تهدف هذه الدّراسة المتواضعة إلى محاولة التّقرّب و بميكانيزمات متباينة زمانيا و بصبغة المقارنة لاكتشاف فكر أبي هلال العسكري من خلال مؤلّفه : كتاب الصّناعتين، في حقلي البلاغة والنّقد والتي ألفيناها عنده تضاهى في مرجعياتها ومضامينها ما يتغنّى به أدباء ونقّاد اليوم عربا وغربا، مظهرا وجوهرا، وكذا الإجابة عن إشكالية جوهرية تتجلّى في نظرة العسكري للّفظ و المعنى، ولسنا مبالغين عندما نقول بأنّنا وجدنا فكر الرّجل ناضج و يتوافق في الجانب الدّلالي مع المصطلح الغربي الوافد إلى بيئاتنا العربية حديثا، كما وجدنا العسكري يبّين لنا الكلام الجيّد وعلاماته وسمة الصّدق ومراعاة القصد أو غرض المتكلّم ويشير إلى ظواهر كثيرا ما تغنّى بها النّقد ومناهجه الحديثة والمعاصرة نحو التّأليف، والسّبك، والربّط والنّظم والإئتلاف، والتّلاؤم...، كما نقرّ بتوصلنا إلى اكتشاف عظيم من عظماء البلاغة والنّقد قد سبق لاحقيه بما فيهم الأوربيين وما تغنوا به في نظرية الأدب عندهم.

الكلمات المفتاحية : الصّناعتين، المعاني، اللّفظ، القصد، الرّبط .

Abstract :

This modest study aims to try to get close with old،modern and contemporary This modest study aims to try to get closer with different temporal mechanisms and with a comparative aspect to discover the thought of Abu Hilal Al-Askari through his author, The Two Industries in the Fields of Rhetoric and Criticism, which we have reviewed in terms of its references and contents, what the writers and critics of today, Arabs and West, praise in terms of appearance and substance, as well as the answer to a fundamental problem. It is evident in Al-Askari's view of the word and meaning, and we are not exaggerating when we say that we found the man's thought to be compatible in the semantic aspect with the Western term that came to our Arab environments. Criticism and its modern and contemporary approaches, towards authorship, casting, linking, systems, coalition, and harmony.... We also acknowledge that we have reached a great discovery of the greats of rhetoric and criticism whose successors, including the Europeans, have already enriched them in their literary theory.

Keywords : two industries, meaning, pronunciation, intents,connection.

[1]– المؤلّف المراسل: حسين الاكحل البريد الإلكتروني: **Lakehalhocine3@gmail.com**

1. مقـــــدّمة:

إنّ ثنائية اللّفظ والمعنى، قديمة الوجود مترامية الجذور في مختلف الآداب و اللّغات و خاصّة تلك الّتي عرفت في تاريخها الخاص سؤددًا ورقيًا وعالميةً بارزة، بسبب التّأثير والتّأثر بغيرها، ولقد بدآ عندنا كعرب متّصلان بثنائيةٍ أخرى أوسع نطاق منهما، هي ثنائيّة البلاغة و النّقد اللّذان كانت انطلاقتهما مثل الطّائر الصّغير، الضّعيف العاجز، الّذي لا بدّ له من عون وسند يعتمده، ثمّ ما لبثا أن جاءهما المدد والغوث، وخاصّة مع نزول سيّد الكتب وبعثة سيّد الرّسل عليه الصّلاة والسّلام، وبروز سادة الأمّة فصاحة وبلاغة، فصارا يافعان تعلوهما تيجان الرّفعة والسّؤدد.

واستمرا حينا من الدّهر حتىّ استحالا من أعقد المسائل وأعسرها دراسة، وتحليلا، ولم تتبدّد صورهما، ولم يفن الدّهر بكلكله وجنده جذورهما المتأصّلة والسّليمة المنبت، الّتي تعهّد الخالق بحفظها ضمنيا عندما حفظ القرآن المجيد ، ورغما احتكاكهما بالغير من الآداب وتأثّرهما وتأثيرهما فلم يضيعا ولم يتغيّرا بل ازداد نصاعة وشفافيّة ورونقا، واستحال ذوا صورة رقيقة طريّـــة وتخلّصا من براثين الخشونة و الجزالة المفرطة ... .

وحتى لانسرق جهود الغير أو نقتلها اهمالا، نتذّكر بالعرفان والشّكر عظماء اللّغة والبيان دون استثناء، ومن بين هؤلاء العظام الّذين نقرّ لهم اليوم و غدا بمجهوداتهم الجسيمة في سبيل خدمة الأدب العربي عموما، والبلاغة والنّقد خصوصا رجل موسوعي، برز كناقد وبلاغي وشاعر ألمّ من مدرسة الحياة والخبرة والدُّربة والمراس ما ألمّ به النّبلاء وأصحاب الأدمغة الذكية، إنّه أبو هلال العسكري الّذي ظهر في وقت كان الأدب العربي فيه يحتضر وأنفاسه تحشرج، فعقد العـــزم على إحياءه، وبثّ الدّم في عروقه، ليبعثه من جديد، و على هيئة حسنة، فكان ذلك له وجاء بأسفار جليلة ذات مواضيع قيّمة لا تُعرف فائدتها إلاّ بالتنقيب والبحث والمقارنة أو الموازنة، بمن عاصره أو سبقه أو لحق به، و كذا طول النّظر، و خاصّة بمراعاة البحث المطعَّم بما توصّل إليه العلم الحديث من آليات و مناهج تعمل على الغربلة الصّحيحة للمجهودات، و مقارنتها بما يشبهها، لكي تصل إلى الصّحيح السّويّ المقنع .

ومن بين النّقاط التّي عكف العسكري على دراستها والتنقيب في أغوارها قضية اللّفظ والمعنى أو المظهر والجوهر أو البنية التحتية والخارجية الشكلية إن صحّ تعبيرنا، وهي موضوع مقالنا هذا والتّي اختلف النقّاد والبلاغيون فيها كثيرا وراحوا يؤلّفون حولها وينسجون الأقاويل والأحاديث والنظريات عنها سواء كانوا عربا أو غير عرب، قديما وحديثا ، فمنهم من ساوى بينهما ومنهم من فضّل المعنى ومنهم من فضّل اللّفظ ومنهم من لم يعرهما أي انتباه أو اهتمام، والحقيقة الجامعة ترى بأنّهما معضلة وركيزة أساسية في بناء الكلام وسرده، وعليه سنحاول في هاته الأسطر اليسيرة و المتواضعة، معرفة طريقة العسكري في تناوله للمسألة، علما أنّها معضلة جوهريّة، و تنمّ عن جهد وحنكة وذكاء، وتتميّز بكونها لبّ النّقد وجوهر البلاغة .

نعم لقد عدّت هذه المعركة من أهم المعارك الأدبيّة والبلاغيّة العويصة، و الطّويلة بين القدامى من أهل البيان والفصاحة بمختلف توجّهاتهم الفكريـّة و انعكست ضلالها على من جاء بعدهم من المحدثين و المعاصرين، فقد قدّر لها أن تصبح من أكبر

المسائل الّتي شغلت عقول النقّاد القدماء والمحدثين عربا وعجما، و لعلّ السّبب الأساسي و المحرّك الجوهري لها و فيها، هو قضية الإعجاز القرآني وكمونه، بمعنى هل يوجد في اللّفظ وتأليفه ؟، أم في المعنى ودلالته، أم بهما معاً ؟ أم بالعلاقة النّاجمة عنهما ؟ .

و انبجست عنها أربع توجّهات أو دراسات لا ضير من ذكرها هنا :

- **الدّراسة الأولى** : تفضّل الألفاظ : ويمثلها (الجاحظ) **ت255هـ** (و أبو هلال العسكري) ت395هـ.
- **الدّراسة الثانية** :الجمع بين اللّفظ و المعنى : و يمثلها (ابن قتيبة) **ت276هـ** (و قدامه بن جعفر) ت337هـ.
- **الدّراسة الثالثة** وحدة اللّفظ و المعنى : ويمثلها (ابن رشيق القيرواني) **ت414هـ** (و ابن الأثير) ت637هـ. حيث أنّهما لم يفصلا بين اللّفظ و المعنى.
- **الدّراسة الرابعة** : العلاقة القائمة بين اللّفظ و المعنى : و يتمثّل (بعبد القاهر الجرجاني) ت471هـ.

ولعلّ المتمعّن في القضية يذكر مباشرة ثنائية اللّغة و الفكر، بل هي أشبه بالتّجسيد و التّمثيل لها، حيث نلاحظ الانتقال من المستوى التجّريدي إلى المستوى الحسّي بمعنى نجد الإسقاط جليّا بين المعنى مُمَثلاً عن الفكر، و اللّغة مُمَثلة في اللّفظ، هذا إذا انطلقنا من القول المشهور هذا [1]:" **الأفكار هي صور مُختزَنة في الأذهان، مُكتسبة بطريق الحواس، و تلك الأفكار تُسمى معان حين يُعبر عنها بالألفاظ و الأقوال** " .

بمعنى أنّ المعاني مستحضرة في الذّهن بفضل الاكتساب لا الفطرة، ولم يتبقى إلا بلورتها نحو العالم الخارجي بالألفاظ

وكان قبل تلك الاتجاهات رائد أدبي آخر قد سبقهم، إنّه بشر بن المعتمر (**ت210هـ**)، الذي أشار إلى منزلة اللّفظ والمعنى، قائلا [2]: " **من أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظا كريماً، فإنّ من حقّ المعنى الشّريف اللّفظ الشّريف ومن حقهما أن تصونهما، مما يفسدهما ويهجّنهما** ".

وإن كان في الحقيقة الواضحة من كلامه هذا، قد جمع بينهما جمع أخوة وألفة، فلا يبرز الأول إلا بالثاني فكليهما مرآة عاكسة لبعضهما، ولا يمكن أن نلبس معنى جيّد لفظا رديئا ....

ونعود أدراجنا إلى صاحب الصناعتين أبي هلال العسكري (**ت395هـ**) الذي امتاز موقفه من قضية اللّفظ والمعنى بقوله [3]:" **الكلام – أيّدك الله – يحسن بسلاسته، و سهولته و نصاعته و تخيّر ألفاظه، وإصابة معناه، و جودة مطالعه و لين مقاطعه و استواء تقاسيمه، و تعادل أطرافه، و تشابه أعجازه به، و موافقة مآخيره لمباديه، حتى لا يكون في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثلَ المنثور في سهولة مطلعه، و جودة مقطعه، و حسن رصفه و تأليفه، و كمال صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً و بالتحفظ خليقا ...** " .

---

[1] د: أبو السعود احمد الفخراني، البحث اللغوي عند اخوان الصفا، مطبعة الأمانة، ط1، 1991 م ص201

[2] الجاحظ، أبو عثمان، البيان و التّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة،1985 م، ص136.

[1] ابو هلال العسكري الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت 1986م، ص 55.

وحقيقة ألفيناه يساوى بينهما، وعليه فإشكالية بحثنا هذا تتبلور في ضرورة معرفة النّظرة الّتي تناول بها العسكري تلك الثنائية أمّا بالنسبة للآليات المنهجية التي استعملها أبو هلال العسكري فوجدناه وقف ممحّصا ومدقّقا ومقارنا ،جهده وفكره بسابقيه ومعاصريه، لكي يتفادى الغلط، فتارة يعتمد على المنهج الوصفي، وتارة التحليلي، وتارة أخرى على المقارن وحتى السيميائي الدلالي، وهي صفة تجلّت في فكر العسكري بوضوح تام ... .

وعليه فنحن كباحثين نودّ من خلال موضوعنا هذا إماطة اللّثام عن فكر الرّجل والنتائج الّتي توصّل إليها من خلال جهده الجهيد هذا، و يفهم من كلامه السّالف أنّ سرّ الجمال يكمن في اختيار اللّفظ، فذكر أنّ أساس التّفاضل يقوم على الألفاظ ولكنّه لم يهمل المعاني كما ادّعى أكثرهم، بل اشترط فيها كذلك الإصابة، أي الانتقاء، و لم يتوقّف هنا فقد شبّه الألفاظ باللّباس الخارجي والمعنى بالجسم أو البدن ... .

2- ثنائيّة اللّفظ والمعنى عند أبي هلال العسكري في كتاب الصّناعتين

1.2 : نظرته الشّخصية للّفظ والمعنى ودورهما في الكلام:

ونحطّ الرّحال مرّة أخرى جملة وتفصيلا بعد شدّها، عند أبي هلال العسكري، من خلال كتابه الصناعتين، (ت395هـ) الذي كان له موقفا بارزا من قضية اللّفظ والمعنى تجلىّ في قوله [1]:" **الكلام – أيّدك الله – يحسن بسلاسته، و سهولته ونصاعته و تخير ألفاظه و إصابة معناه، و جودة مطالعه، و لين مقاطعه و استواء تقاسيمه، و تعادل أطرافه، و تشابه أعجازه به، و موافقة مآخيره لمباديه، حتى لا يكون في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثلَ المنثور في سهولة مطلعه، وجودة مقطعه، و حسن رصفه و تأليفه، و كمال صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقاً و بالتّحفظ خليقا** كقول معن بن أوس [2]:

لَعَمْرُكَ مَا أَهْوَيتُ كَفي لريبةٍ ** وَلا حَملتْني نحـو فاحشــةٍ رِجــلي**

وَلا قادَني سَمعي و لا بصري لها ** و لا دَلنّي رأيي عليها و لا عَقــلــيَ**

وَأَعلَمُ أَنّي لَم تُصِبني مُصيـــــبة ** من الدّهرِ إلا قَدْ أَصابت فتىً قبــلي**

ومنه يفهم من كلامه هذا أنّ سرّ الجمال يكمن في اختيار اللّفظ في بداية العملية، فأساس التّفاضل يقوم على الألفاظ، ولكنه لم يهمل المعاني كما زعم بعضهم وصنفه، بل نجده قد حدّد شرطا جوهريا للمعاني يتمثّل في سمة الإصابة أي الانتقاء أو الاختيار الدّقيق الواعي ولعلّ دليلنا فيما نقول هو تشبيهه الألفاظ باللّباس الخارجي والمعنى بالجسم أو البدن قائلا [3] :" **إنّ الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدلّ عليها ويعبّر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللّفظ؛ لأنّ**

[1] نفسه، ص 55.

[2] ديوان معن بن اوس، رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ص25.

[3] الصناعتين ص 69.

المدار بعد على إصابة المعنى، ولأنّ المعاني تحلّ من الكلام محلّ الأبدان، والألفاظ تجرى معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة" .

أفلا نلاحظ هنا مساواته الواضحة بين اللّفظ والمعنى وأنّ لا غنى لأحد منهما عن الآخر فالعلاقة تكامليّة بينهما عنده رغم كون العسكري من أنصار الصّنعة فهو في قوله هذا يشترط على البلاغي أن يختار المعنى، تماما مثلما يختار اللفّظ ثم يبيّن لنا أنّ محور العمليةّ كلها ينبري على إصابة المعنى و كيف لا و البدن هو القاعدة الأساسية التي يظهر منها مقاس اللباس وجماله .

و هذا ما سماه قدامة بن جعفر بعنصر المساواة [1]: "**وهو أن يكون اللّفظُ مساويًا للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة الّتي وصف بها بعض الكتّاب رجلًا، فقال: كانت ألفاظُه قوالبَ لمعانِيهِ ؛ أي هي مساويةٌ لها لا يفضُلُ أحدُهُما على الآخر وذلك مثل قول امرؤ القيس :**

فَإن تَكْتُمُوا الدَّاءَ لاَ تَخفه ** وَإِنْ تَبْعثوا الحَرْب لاَ نَفْقَد**
وإِنْ تَقْتُلُونا نُقـــتِّلْـكُم ** وإِنْ تَقْـصِـدُوا لِدَمٍ نَقصِد**

كما أشار أبو هلال إلى صفة العالمية التي تمنحها العناية بالمعاني وترتيبها على وجوهها للأديب البلاغي، فمن تعودّه على ذلك في لغة ما، فإنّه لا يجد إشكالية فيها عندما يمارسها في لغة أخرى، وهنا نجزم بعالمية المعاني وإقليمية الألفاظ.

وفي هذا يقول [2]:" **ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللّغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيّأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى ؛ ألا ترى أنّ عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة الّتي رسمها لمن بعده من اللّسان الفارسي ؛ فحوّلها إلى اللّسان العربي، فلا يكمل لصناعة الكلام إلاّ من يكمل لإصابة المعنى وتصحيح اللّفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال** ".

وتستوقفنا عبارة ممتازة جدّا للعسكري ذات إيحاءات عديدة هي قوله [3] :" **ولا يقبل الكلام المضطرب إلّا الفّهم المضطرب، و الرويّة الفاسدة** "، بمعنى مطابقة الصّورة اللّفظية للصّورة الذّهنية بين المتلقي والمرسل، ولعلّ السّؤال المتبادر للأذهان هنا، ما علاقة الفّهم المضطرب بالكلام ؟.

هل يوجد فهم مضطرب وآخر سوي ؟ من هذا ستقتحم في أذهاننا فكرة العقل السليم في الجسم السليم، و السلامة تنعكس حتى في الخطاب وتقبله، و هذه قضية فلسفية نفسيّة بالدّرجة الأولى، ربما يطول بنا الحديث فيها، وهذا دليل على ثقافة وموسوعيّة هذا الرجل ... .

---

[1] قدامه بن جعفر، نقد الشعر،تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ص 153،ديوان امرؤ القيس تصحيح مصطفى عبد الشافي،دار الكتب العلمية،ص54 .

[2] الصّناعتين، ص69.

[3] نفسه، ص57.

ثم نجد العسكري يبّين لنا الكلام الجيّد وعلاماته، قائلا [1] :" **وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا، لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدودا مستكرها، ومتوعّرا متقعّرا، ويكون بريئا من الغثاثة، عاريا من الرّثاثة والكلام إذا كان لفظه غثّا، ومعرضه رثّا كان مردودا، ولو احتوى على أجلّ معنى وأنبله، وأرفعه وأفضله، كقوله :**

لما أطعناكم في سخط خالقنا ** لا شك سلّ علينا سيف نقمته**

و هذا يذكرنا بقول الناقد الفرنسي دي جورمون [2]:" **أن الأسلوب والفكر شيء واحد، وإن من الخطأ محاولة فصل الشكل عن المادة**".

فالترّكيز على قوله في جملة **لا ينغلق معناه،** يحيلنا إلى ما يعرف في اللسانيات بالمعنى المفتوح و المغلق، أو البعد السّكوني والحركي وهذا يحيلنا على ثنائية «**النّظام المغلق والنّظام المفتوح**» الّتي ينادي بها بعض دعاة لسانيات التلّفظ **Linguistique** .

والمعنى المفتوح يمنحنا حركية يكون فيها المتكلم مخيراً بحيث تنفتح طاقاته التعبيرية، في ظلّ تنوّعات سياقيّة داخليّة وخارجية، على احتمالات معنوية متعددة، و الانفتاح أقرب في الدّلالة على القصديّة كما يرى **أنطوان كيليولي A.culioli** الّذي عدّ اللغّة نظاما مفتوحا.

2.2 صورة المعنى :

لم يتوقّف العسكري هنا بل حلّل صورة المعنى، حين قال [3]:" **والمعاني بعد ذلك على وجوه : منها ما هو مستقيم حسن، نحو قولك : قد رأيت زيدا، ومنها ما هو مستقيم قبيح، نحو قولك : قد زيدا رأيت، وإنما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير، ومنها ما هو مستقيم النظم، وهو كذب ؛ مثل قولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر، ومنها ما هو محال، كقولك : آتيك أمس، وأتيتك غدا**" .

3.2: أقسام المعنى:

وعليه فقد قسّم المعاني إلى:

✓ **مستقيم حسن،** نحو قولك : قد رأيت زيدا، فهنا الاستقامة متجلية في البنية السّطحية، المسايرة لقواعد النحو وشروط النظم، و لا يوجد خرق في البنية العميقة . وهو يحقق النحوية وشروط الصدق.بمعنى صدق فنيّ ولفظي... .

✓ ومنها ما هو **مستقيم قبيح** نحو قولك: قد زيدا رأيت، فالخرق والعيب جلي في كلا البنيتين، و السبب واضح وهو مخالفة قواعد النحو واضطراب النظم ومنه انعكس ذلك إلى المعنى فأفسده. وهو يخرق مبدأ السلامة النحوية على مستوى التركيب وتوزيع الرتب.

---

[1] نفسه، ص67..

[2] وليم فان أوكونور، النقد الأدبي، ترجمة : صلاح أحمد إب ا رهيم، دار صادر، بيروت، 1960: ص 102

[3] الصناعتين،ص77.

✓ **مستقيم النظم**، وهو كذب : بمعنى سليم التركيب لكن الدلالة غير صحيحة، مثل قولك : حملت الجبل، هنا يخرق معيار الصدق أو ما يطلق عليه جون كوهن باللامنطقية [1]

✓ **محال**، كقولك : آتيك أمس وأتيتك غدا : فهنا يوجد تنافر وخلل، و الخرق موجود على مستوى البنية الدلالية للجملة، وذلك في عدم وجود علاقة منطقية بين الفعل الماضي والظرف الاستقبالي.

كما تفطّن العسكري إلى ميزة أخرى ينبغي أن تتوفّر في المعاني، و هي سمة الصدق ومراعاة القصد، أو غرض المتكلّم وأشار الى ذلك بقوله [2]:" **ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذبا محالا ؛ وهو قولك : رأيت قائما قاعدا، ومررت بيقظان نائم ؛ فتصل كذبا بمحال، فصار الذى هو الكذب هو المحال بالجمع بينهما، وإن كان لكل واحد منهما معنى على حياله، وذلك لمّا عقد بعضها ببعض حتى صارا كلاما واحدا، ومنها الغلط، وهو أن تقول : ضربنى زيد وأنت تريد ضربت زيدا، فغلطت، فإن تعمّدت ذلك كان كذبا**".

وهنا عندما نذكر تناول كوهن لمثال برسون :" **الفيلة تجرّها الخيول** " ومثال تشومسكي "**الأفكار الخضراء العديمة اللون تنام بعنف** " فالجملتين صحيحتين من حيث التركيب اللغوي والنحوي، ولكن خاطئتين من حيث المعنى والدلالة وهذا ما يتعارض مع المنطق و العقل و الحقيقة .

أمّا قول العسكري :"وأنت تريد، ضربت زيدا"، بمعنى تقصد، فلابد من احترام الغرض المراد ايصاله للمتلقي، زيادة على مراعاة الانسجام التصويري بين المتكلم والقارئ، و في هذا يرى **رولان بارث Roland Barthes** [3]: "**الصورة هي ما أعتقد أن الآخر يفكر فيه**"، بمعنى نستحضر رغبات و ميولات وذهنيات الطرف المتلقي ومدى استيعابيته للصورة وهل هو مالك لرصيد معرفي لها ام انها جديدة كل الجدة عنه... .

ولم يتوقف أبو هلال هنا بل تطرق الى جيّد المعاني من رديئها في الشعر و أغراضه وكذا النثر وفنونه، فمثلا يقول [4] :"**وللخطأ صور مختلفة نبّهت على أشياء منها في هذا الفصل، وبيّنت وجوهها، وشرحت أبوابها لتقف عليها فتجتنبها، كما عرفتك مواقع الصواب فتعتمدها، وليكون فيما أوردت دلالة على أمثاله ممّا تركت ؛ ومن لا يعرف الخطأ كان جديرا بالوقوع فيه، فمن ذلك قول امرئ القيس :**

ألم تسأل الرّبع القديم بعسعسا ** كأني أنادى إذ أكلّم أخرسا**

---

[1] جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمرى دار توبقال للنشر الدار البضاء المغرب 1986 ط1 ص102

[2] الصناعتين ص70.

[3] رولان بارث هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياش، مركز الآنماء الحضاري 1999 الطبعة الأول ص486.

[4] الصناعتين،70.

هذا من التّشبيه الفاسد لأجل أنّه و فقط، لا يقال :" **كلّمت حجرا فلم يجب، فكأنّه كان حجرا، والّذي جاء به امرؤ القيس مقلوب**" .

وتبعه أبو نواس فقال يصف دارا :

كأنها إذ خرست جارم ** بين ذوي تفنيده مطرق**

والجيّد منه قول كثيّر في امرأة :[1]

فقلت لها : يا عزّ كلّ مصيبة ** إذا وطّنت يوما لها النّفـــس ذلّت**

كأنّى أنادى صخرة حين أعرضت ** من الصّمّ لو تمشى بها العصم زلّت**

فشبّه المرأة عند السّكوت والتّغافل بالصّخرة .

والمدقّق في الأمثلة التالية يدرك مدى الخلل الواقع في التّصوير، أو الصّورة التي قيل فيها: " **تأخذ المعاني الآتية : تصوير / بنية /شكل / صورة / أسلوب/ شكل أسلوب / تخيل** ... ".

أمّا الصّورة البلاغية **Figure Rhétorique** فتعني :الشـــكل الخاص الذي، يعطي للمعنى قوة الـــتأثير، ليكون أكثر أصالة وإيحاء، وتنقسم الصور في الموروث البلاغي الأوربي إلى قسمين [2]:

1 – **Figures de pensée** : .صور الفكر كصيغ التعجب مثلا .

2 – **Figures de Mots** : .صور الكلمات، كالاستعارة و المجاز.

ولقد أورد العسكري أخطاء في بعض الاغراض مثل الوصف قائلا [3]:"

قصر الصّبوح لها فشرّج لحمها ** بالنّيّ فهي تثوخ فيها الإصبع**

تأبى بـــدرّتها إذا ما استكرهت ** إلّا الحميـــم فإنه يتبضّع**

قال الأصمعي: هذه الفرس لا تساوى درهمين؛ لأنه جعلها كثيرة اللّحم رخوة تدخل فيها الإصبع. وإنما يوصف بهذا شاة يضحى بها، وجعلها حرونا إذا حرّكت قامت، إلا العرق فإنه يسيل .

---

[1] الصناعتين،ص71. عسعس : موضع بالبادية وجبل. قال شارحه أبو بكر البطليوسي : وعسعس، موضع. ثم قال : وفى كتاب الأزمنة أنه أراد انزلا في أدبار الليل ؛ لأن الأصل في عسعس الليل أي مضى.

[2] voir Grand Larousse de la langue française Librairie Larousse 1975 Paris. France – tome III matière Figure page 1945

[3] الصناعتين،78 ديوان الهذليين : 16، 17. قصر : حبس. فشرج لحمها بالنيّ: جعل فيه لونين من اللحم والشحم. تثوخ : تدخل. والحميم : هو العرق. ويتبضع : يتفجر. تأبى بدرتها : أى تأبى بدرة العدو، ويقال للفرس الجواد إذا حركته للعدو : أعطاك ما عنده، فإذا حملته على أكثر من ذلك فحركته بساق أو سوط حملته عزة نفسه على ترك العدو وأخذ في المرح.

4.2 الصّور الميّتة :

وهي الصور المجرّدة و التّي تدرك عن طريق العمليّة الذّهنية، و مثال ذلك: **عمل شاق ينتظرك غدا**.

إنّ هذه الصّور تتموقع حسب **بالي BALLIE**، أين يسيطر الإحساس والمشاعر على الفكر، وهذه الصّور كلّها تمدّنا بها اللّغة التّخاطبية : **la langue parlée** .وهنا يعطي **شارل بالي** الاهتمام الكبير إلى النوّع الثّاني من الصور لأنه يتماشى ويتناسب مع ما يسميه باللغة التخاطبية التي تمدّنا بطاقة تعبيريّة وتصويريّة هائلة، ومثل التّشبيهات الآتية:

nu comme un ver عريان كالكأس، والجيّد قول أبي النجم [1] :

جردا تعادى كالقداح ذبله ** نطي اللحم ولسنا نهزله**

نطويه والطّيّ الدّقيق يجدله ** طيّ التجار العصب إذ تبجله**

وعليه فالعسكري يرى في حسن التّصوير البياني وسيلة جيّدة لنقل المعاني وتحبيبها إلى المتلقي لأنّ المتلقّي أو القارئ أو المرسَل إليه أو المستقبل يعتبر من أهم استراتيجيّات العمليّة التواصليّة الإبداعية، و في هذا يقول **فولفغانغ آيزر** عن النّص [2] : **"ليس في وسعه أن يمتلك المعنى إلا عندما يكون قد قُرئ"** ومنه فالمعنى لا يمكن أن يوجد إلا من خلال القارئ، ولا يخفى علينا أنّ القارئ هو الكاتب الثاني للنص، والكاتب هو القارئ الأول للنص .

وكان عبد القاهر الجرجاني يساير بالدّرس والتحليل السامع على امتداد الشّواهد في كتابيه، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، فيعرض على سامعه النّصوص ويجعل أريحيّته أو نفوره مقياساً لقبول النّص أو رفضه، وليس السامع فرداً عيانيّاً واقعيّاً، بل هو تمثيل للذّوق الاجتماعي ونموذج لثقافة العصر ووسيلة مركزية من وسائل الاتصال الجماهيري.

والعسكري تطرق بالشّرح والتحليل للألفاظ، بل بدأ بها، يقول [3] :" **وليس الشّأن في إيراد المعاني لأنّ المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنّما هو في جودة اللّفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه ؛ وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السّبك والتركيب، والخلوّ من أود النّظم والتأليف وليس يطلب من المعنى إلاّ أن يكون صوابا، ولا يقنع من اللّفظ بذلك حتىّ يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدّمت"**، ألا ترى إلى قول حبيب:

مستسلم لله سائس أمّة ** بذوي تجهضمها له استسلام**

فإنه صواب اللّفظ، وليس هو بحسن ولا مقبول، (الجهضمة، الوثوب والغلبة).

وحقيقة نجد المعنى توليدي، تتحكّم فيه سياقات عديدة، قد لا تتوفّر تلك الظّروف والمعالم والسّياقات للعام والخاص لشخص دون آخر، فما جاشت به مثلا نفس رستم بن مهراب صاحب ملحمة الفرس الايرانيين من معانى، و ما منحته له

---

[1] الصناعتين ،ص78.

[2] فولفغانغ آيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب،، ترجمة :حميد لحمداني، والجيلالي الكدية، فاس، منشورات مكتبة المناهل،ص11.

[3] الصناعتين، 85،57 وينظر كذلك **الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح :عبد السلام هارون، القاهرة، 1940 م، 132،131/3** .

البيئة التي نشأ فيها من جاه وملك وغنى وتدلّل...، لم يحظ به عنترة بن شداد العربي صاحب عبلة و هذا لشيء بسيط هو عدم تكافؤ الفرص الممنوحة لواقعهما وحياتها وتجلّت معانيهما في أشعارهما رغم وجود قواسم مشتركة بينهما، فكلاهما دخل بحر العشق من بنت العمّ وكلاهما ابن حاكم، و فارس شجاع و خاضا حروبا طويلة مكلّلة بالنجاح ...، ولكن يوجد تباين فيما تمليه الظروف عليهما من أحاسيس ومعاني، تجلت في ألفاظ قصائدهما، و الأدب المقارن قد بيّن ذلك فاللّفظ غيّر التصوير الفن

و عليه فالعسكرى والجاحظ يريا بأنَّ الكلام وخاصة الشعر يصنع بالكلمات أي الأوعية والقوالب وليس بالمعاني، وهذه الفكرة قال بها الشّاعر الفرنسي "مالارميه "(**1898م**)، حين ذكر [1]:"**إنَّ الشعر لا يصنع من الأفكار، إنَّه مصنوع من الأشياء، أو من كلمات تدلُّ على الأشياء**".

ومع هذا فقد أرجع بعض النقاد أسباب قول الجاحظ بالألفاظ إلى عدة دوافع منها الدافع القومي : ومرده دحض مزاعم الشّعوبيين الذين حاولوا تفضيل نصوصهم الأدبيّة على النّصوص العربيّة بكثرة معانيها،، فكان ردّ الفعل لدى النقّاد العرب هو التّقليل من قيمة المعاني وإعطاء القيمة للصناعة اللفظيّة.

كما ذكروا دافعا آخر هو الدافع النّفسي المتجليّ في كون اللّفظ الرّقيق، والجرس النّاغم، و التّركيب النّاصع كلها سمات ومناظر تسيطر على النفوس فتجذبها، وخاصة الأسلوب الجزل المتين الذي ياسر العواطف ومصدرها .

ولعلّ الجاحظ في رأيه هذا يساير قول الأصمعي عندما سئل :من أشعر الناس ؟ فقال [2]:" **الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيرا، وينتقى كلامه قبل القافية، فإذا احتاج لها أفاد بها معنى** " فالمهم عندهما هو المظهر لا الجوهر .

ولكن وجدنا أنّ البلاغي وحتّى النّاقد المتمرّس ليس ذاك السّريع، ولكن هو ذاك المصيب للمعنى المناسب فالجوهر هو محور العملية الوصفية التعبيرية، ثم هو المخرج له في أبهى حلة، وتلك الحلة او المظهر يعرفه العام والخاص، مألوف ومرغوب ، فلابد من العمل على صنع علاقة حميمية، بين اللفظ والمعنى، أخوية عادلة لا جور فيها، وهذا يتجلى في عملية الإخراج التي من مكوناتها البناء، الرصف، التعليق، النسج، التصوير، النظم .

ومنه فمن ينتصر للفظ يرى أنَّ **الصوت la voix** آلة اللفظ، والمعنى يبقى مسجونا حتى يتلفظ به، أي لا حرية و لا حياة للمعاني المكبوتة، و التي لم تترجمها الة التلفظ، فالصوت هو الترجمان الذي تتجلى فيه ظاهرة التأليف ...، وهنا نتذكر ثنائية اللغة والكلام لديسوسير، وكون الكلام هو الانجاز الفعلي لقواعد اللغة تلك اللغة التي بها المعاني، الموجودة بالذهن ... .

وعليه فالعسكري قد أشار إلى الصّنعة أو الاكتساب أو التحوير للمادة الخام، تلك المادة التي تكون سيئة ومنبوذة وممجوجة، لكن التحوير والمظهر هو من خدع الناس وجذبهم إليها، تماما كالصناعة اليوم المتجلية في الماكينات والآلات

[1] الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، ص30، 31 .

[2] ابن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل،الجزء الأول، الطبعة الخامسة، 1981م. 46/2

فالصناعة الأصلية الناجمة من أصل خام جيّد تبقى وتعمّر طويلا وتدافع عن نفسها من ضربات الدّهر، أمّا صناعة المادّة السيّئة العناصر أو العفنة البقايا، فلا خير فيها والدهر كفيل بإخراجها على حقيقتها الاولى ... .

كما لا يختلف اثنان في كون المعاني متواجدة في الذّهن والكلام يخرجها من حيّزها التّجريدي هذا فالكلام **parole** : بمفهومه الحديث هو [1]: " **ذلك النشاط الفردي الذي يقوم به المتكلم عندما يُخرج اللغة من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل، بإحداثه أصواتا مسموعة مفيدة معنى** "

و حقيقة كمون المعنى في ذهن الفرد معروفة عند اللغويين العرب قديما، حيث يرون [2]:" **أنّ المعاني موجودة في الذهن، وكونها تحيا بالاستعمال و الإخبار عنها** "، أي أنها ميتة في عالم الذهن والنفس والعواطف، ولكن عندما تتجلى في الكلام تحي .

كما أنّ التعريف الاصطلاحي للمعاني يشير بوضوح إلى مدلولها [3]:" **أما المعاني فهي الصورة الذهنية إذ وقع بإيزائها اللّفظ من حيث إنهّا تقصد منه، وذلك ما يكون بالوضع، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفردا، وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركبا**"

فالصّور الذّهنيّة، هي وليدة عمليّة ذات شقّين، فطرى ومكتسب، بمعنى شقّ قد برمج تلقائيا في الانسان ولأدلّ على ذلك هو وحدة العقل البشرى والعاطفة البشرية، فجميع الناس مهما كان زمنهم وجنسهم ولغتهم، وبيئتهم وعقيدتهم، يتساوون في تلك النظرة اتجاه:

- **الرجل الخيرى والشرير**
- **الطفل الصغير وبراءته** .

3- نظرته الشّخصية للألفاظ

1.3 صفات وشروط اللّفظ :

لقد تطرق العسكري في كتابه الصناعتين إلى صفات وشروط للّفظ حيث ذكر منها مثلا:

1.1.3 الجزالة والسّهولة:

يقول عنها العسكري [4]:" **فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة، والجزالة، والسهولة، والرّصانة، مع السلاسة والنصاعة ...**"، **بمعنى لابد من تحري الوسطية وهذا ما رآه من قبل** قدامة حين شابه قول أرسطو الدّاعي للوسطية أو

[1] محمد محمد يونس علي، المعنى وضلال المعنى،دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، ج1، ص70

[2] المعنى وضلال المعنى،141.

[3] التهانوي،محمد علي :كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، ج2 /1084

[4] الصناعتين،57.

الاعتدال في قوله [1]:" **إذا كان الأسلوب مسهبًا لم يعد واضحًا وكذلك إذا كان شديد الإيجاز فالأنسب من غير شك هو الموقف الوسط...** " .

وهذا يذكرنا بثنائية البلاغة والفصاحة عند ابن الاثير [2] الذي يرى أنّ البلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنسان، والبلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى معا، بشرط التركيب لأن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة بينما يطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة، وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد في اللفظة الواحدة، لخلوها من المعنى الذي ينتظم كلاما .

ويشرح لنا ابو هلال معنى الكلام السهل والسلس والممتنع ويقرنه بالطبع لا الصّنعة[3] :" **ومن الكلام المطبوع السهل ما وقّع به عليّ بن عيسى : قد بلّغتك أقصى طلبتك، وأنلتك غاية بغيتك، وأنت مع ذلك تستقلّ كثيرى لك، وتستقبح حسنى فيك، فأنت كما قال رؤبة :**

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه *** يصبح ظمآن وفي البحر فمه**

ويواصل وصفه لمن يبنى نظمه على التكلّف والصّنعة والكدّ والتّعب واحتقار الكلام السّلـــــس رغم أنّه هو الأصحّ يقول [4]:" **وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكدّ ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزّة غليظة، وجاسيَّة غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلسًا عذبًا وسهلا حلوًا، ولم يعلموا أنَّ السهل أمنع جانبًا، وأعزّ مطلبًا، وهو أحسن موقعا، وأعذب مستمعًا. ولهذا قيل :أجود الكلام السهل الممتنع"** .

ومن المنظوم المطعّم الممتنع قول البحترى :

أيها العاتبُ الذي ليسَ يرضى *** نم هنيئًا فلستُ أطعم غمضًا**

إنَّ لي من هواكَ وجدًا قد أسته *** لكَ نومي ومضجعًا قد أقضَّا**

2.1.3 استعمال المألوف والابتعاد عن الغريب المتكلف :

يوضّح لنا ابن الأثير المسألة قائلا [5] :" **فإنه لا خلاف في أن لفظة المزنة، والديمة حسنة يستلذّها السّمع وأنّ لفظة البعاق قبيحة، يكرهها السّمع، وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر، و هي تدلّ على معنى واحد ومع هذا فإنّك ترى**

---

[1] عبد الرحمان بدوى، الخطابة لأرسطو، دار القلم، بيروت لبنان ص228 ،

[2] ينظر ابن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح : محمد محي الدين مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر،70/1.

[3] الصناعتين،62.

[4] نفسه،60.

[5] ضياء الدين ابن الاثير، المثل الســــــــــائر، تح :محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر66/1 .

لفظتي المزنة، والديمة وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال، وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل وإن استعمل فإنّما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة، أو من ذوقه غير ذوق سليم لا جرم... ".

فقوله مألوفة الاستعمال يوحى باستنكار الغير مألوف، وكثير الاستعمال، ولنفسها ذهب العسكري حين ربط الجزالة بالألفة، يقول [1]:" **وأما الجزل والمختار من الكلام فهو الذى تعرفه العامّة إذا سمعته، ولا تستعمله في محاوراتها".**

ولا يستشهد العسكري في آراءه هذه بالشّعر فقط، بل يورد لنا أمثلة نثريّة كذلك عن الجزالة والسّهولة، يقول [2] :" **ومن النثر قول يحيى بن خالد : أعطانا الدهر فأسرف، ثم عطف علينا فعسف".**

ويواصل ضرب الأمثلة لنا عن الغريب قائلا [3] :" **وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن طائع وهو العباس بن ميمون، من غلمان ابن ميثم، قال : قيل للسيّد : ألا تستعمل الغريب فى شعرك ؟ فقال : ذاك عيّ فى زماني، وتكلّف منّى لو قلته، وقد رزقت طبعا واتّساعا فى الكلام، فإنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير، ولا يحتاج إلى تفسير. ثم أنشدنى :**

أيا ربّ إني لم أرد بالذي به *** مدحت عليّا غير وجهك فارحم**

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه، ويستعمله في الإبانه، و عليه فالعسكري بشروطه هذه حول اللفظ يهدف الى زحزحة الغموض من النّص الأدبي، مع التركيز على عامل التّأثير في الملتقي بما يحمله من سمات تشحذ عقله و تدفعه للتفكير و المشاركة الإيجابية الفعالة و اللّذة الحسية و الذّهنية.

كما نجده في كلامه هذا يوازى ما تحدث عنه قدامة بن جعفر سابقا والذي لم يهمل الشكل، بل قال عنه [4]:" **أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف، من مواضعها عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة"**، وهذه البشاعة من مظاهرها استعمال الحوشي من الكلام، وجريه على غير سبيل الإعراب واللغة، ومنها المعاضلة

3.1.3 الابتعاد عن اللّفظ الغثّ:

يقول العسكري[5]:" **والكلام إذا كان لفظه غثّا، ومعرضه رثّا كان مردودا، ولو احتوى على أجلّ معنى وأنبله، وأرفعه وأفضله، كقوله :**

لما أطعناكم فى سخط خالقنا *** لا شك سلّ علينا سيف نقمته**

---

[1] الصناعتين، 64.
[2] نفسه، 65/64
[3] نفسه، 61.
[4] قدامه بن جعفر، نقد الشعر،تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ص 74
[5] الصناعتين، 67

وذكره العسكري عليه بأنّه لا يدخل فى جملة المختار، ومعناه كما ترى، نبيل فاضل جليل، وهنا يحيلنا الى ثنائية الفصاحة والبلاغة، و التي تكلّم فيها جلّ النّقاد وفرقوا بين مكوناتها، وأنّ الفصاحة تكون للّفظ ، وهذا ابن سنان يقول فيهما [1]:"**و الفرق بين الفصاحة و البلاغة، أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ و البلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة، لا تدل على معنى، يفضل عن مثلها بليغة وإنْ قيل فيها فصيحة، و كل كلام بليغ فصيح و ليس كل فصيح بليغا، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه** ".

إذا الواضح هنا، هو ربط البلاغة بالمعاني، و الفصاحة بغير ذلك، و إن صح التعبير فالبنية التحتية خاصة بالبلاغة، أمّا الشكلية الخارجية، فمقصورة على الفصاحة .

و قد اشترط ابن سنان[2] شروطا لفصاحة اللفظ أهمها:

- **أن تجد للّفظ و تأليفه في السّمع حسنا.**
- **أن يكون تأليف اللّفظة من حروف متباعدة المخارج.**
- **أن تكون الكلمة غير متوعرة، ووحشية .**
- **أن تكون غير ساقطة، و جارية على العرف العربي... .**

وهذا ما ذهب إليه العسكري من خلال كلامه عن اللفظ.

أمّا ابن الأثير فنجده يسمّي الكلام بليغا، إذا بلغ الأوصاف اللّفظية و المعنويّة معا، كما رأى أنّ المقصود بالكلام الفصيح،"هو الظّاهر البيّن "، و المقصود بالبيّن هنا الواضح المألوف في الاستعمال و نجده يقول [3] :"**و قد رأيت جماعة من الجهال، إذا قيل لأحدهم : "إن هذه اللّفظة حسنة، و هذه قبيحة، أنكر ذلك، و قال:" كل الألفاظ حسن، والواضع لم يضع إلا حسنا، و من يبلغ جهله لا يفرق بين لفظة الغصن و لفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفنط و بين لفظة السيف و لفظة الخنشليل،...، اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجعر في رحله** ".

كما وجدنا الجاحظ يقول بوضوح شارحا المسألة[4] :" **إنمّا الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقل مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة**" .

4.1.3 أن لا يكون من الجزل البغيض الجّلف، الفاسد النّسج، القبيح الرّصف:

ويمنحنا العسكري مثالا عن الكلام الذي فسد نسجه ورصفه:

---

[1] ابن سنان الخفاجي،سر الفصاحة،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1982م، ص59.

[2] نفسه، من ص89 إلى ص63.

[3] المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر،ص149

[4] الجاحظ، الحيوان تحقيق :عبد السلام هارون،مـــــطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصـر،1965م.،8/6.

وحثحثت مشغوف النجاء وراعنى *** أناس بفيفان فمزت القرائنا**

من الحصّ هزروف يطير عفاؤه *** إذا استدرج الفيفاء مدّ المغابنا**

ولعلّ الملاحظ هنا على البيتين هو استعمال الغريب من اللّفظ والمعاظلة ،وهذه صفة مخلّة بالفصاحة ولقد حدّدت المعاظلة بأنّها [1] :" **خفاء دلالة الكلام على المعنى المقصود و تكون الكلمات غير منسجمة مع المعاني. ومنه يظهر التّعقيد من تقديم، أو تأخير أو فصل بأجنبي، بين الكلمات التي يجب أن تحقق الوحدة العضوية بينها**" .

ويشير العسكري إليها بوضوح [2] :" **فمن سوء النّظم المعاظلة، وقد مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهيرا لمجانبتها فقال : كان لا يعاظل بين الكلام ؛ وأصل هذه الكلمة من قولهم : تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى، وعاظل الرجل المرأة إذا ركبها** "

أمّا **الحُوشِيُّ** :

فهو الغَامِضُ المشْكِلُ من الحديث أو الكلام، و مبهمه وغامضه وغَرِيبهُ ووَحْشِيُّهُ، وقيل: فلانٌ يَتَتَبَّعُ حُوْشِيَّ الكَلامِ، وعُقْمِيَّ الكلامِ، وَمنه الحُوْشِيُّ: المظْلِمُ الهَائِلُ من اللَّيالِي، لقول العَجّاجُ [3]

حتّى إذا مَا قَصَّر العَشِيُّ *** عَنْهُ وَقد قابلَهُ حُوْشِيّ**

أَيْ لَيْلٌ عظيمٌ هائلٌ ومنه الحُوشِيّ بمعنى : الوَحْشِيُّ من الإبِلِ أي النافر الغير أليف وغَيْرِها،وقيل إنها تعني بِلادُ الجِنِّ، منْ وراءِ رمْل يَبْرِينَ، لَا يُمُّر بهَا أَحَدٌ من الناسِ، وقِيلَ: هُمْ من بَنِي الجِنِّ، كما قَالَ رُؤْبَةُ: "**إلَيْكَ سَارَتْ من بِلاَدِ الحُوشِ**" [4]

والعسكري هنا يلمّح إلى سمة مهمّة يجب أن تتوفّر في اللفّظ والمعنى، و هى سمة التّلاؤم، و يقصد بالتّلاؤم بين اللّفظ و المعنى أنّ الشّاعر عندما يتحدّث عن المدح يجب أن يستعمل الألفاظ الخاصّة بالمدح، وهكذا فلكلّ غرض حقله الدلالي فالشّاعر عندما يستعمل الألفاظ المناسبة للمعاني يحدث تلاؤم بين اللّفظ و المعنى، أيّ ينعدم التّنافر بين اللّفظ و معناه .

ولا ننسى صاحب الصّحيفة حين رأى بان المعاني و الأفكار يجب أن تتلاءم والموضوع، وهذا يتلاءم و الجمهور أو القارئ وإلا كانت النتيجة نفور السامع يقول [5]: " **وينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازي بينها و بين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاما و لكل حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين أقدار الحالات** " .

---

[1] ابن الاثير، الجامع الكبير، تحقيق: مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1956م. 196،ديوان المتنبي،ص179،ديوان الفرزدق، شرح علي عافور، ص 627.

[2] الصناعتين، ص162.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان ،270/4 .

[4] نفسه 270/4 .

[5] الصناعتين،ص135.

ويضيف بشر ناصحا المؤلف أو المتكلم [1]:" **فإن كنت متكلما أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخطب أو القصيدة لبعض ما يراد له القصيد فتخطّ ألفاظ المتكلّمين مثل(الجسم و العرض و الكون و التأليف و الجوهر) فإنّ ذلك هجنة** "، وكلام بشر هذا يركز على اللّفظ ودوره في إحياء أو إماتة المعنى، ومن ذلك يحدث التّلاؤم والاتّساق والانسجام لتمنح صورة سويّة يتقبلها المتّلقى .

وهذا عبد الرحّمن حبنّكة، يقول عن الكلمة الفصيحة التّي يرى أنّها الكلمة **العربيذة** التي تخلو من أربعة عيوب وهي التّنافر والغرابة ومخالفة القياس، وكراهية السّمع لها، وأن الكلام الفصيح عند علماء البلاغة ما كان سهل اللفظ واضح المعنى، جيد السبك متلائم الكلمات، فصيح المفردات، غير مستكره ولا ممجوج ولا متكلف ولا مخالف لقواعد العرب في نحوها وصرفها، وغير خارج عن الوضع العربي في مفرداته وتراكيبه وليس في كلماته تنافر و لا تعقيد.

- **5.1.3 البنية التّركيبيّة للألفاظ :**

كما أشار أبو هلال الى ظواهر كثيرا ما تغنى بها النقد ومناهجه الحديثة والمعاصرة، نحو التأليف والسبك والربط والنظم والائتلاف والتلاؤم، وإن اضمر بعضها لكنها تستقى من الجانب الاصطلاحي له، فحديثه عن السبك والحبك والعلاقات الداخلية والخارجية للأبنية الكلامية وكذا التواصل وظروفه، كلها من مهام لسانيات النص التي تتجلى في [2]:" **وصف العلاقات الداخلية، والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر البعيدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة"**

والسّبك و الحبك الذي أشار اليه والذي يعنى تعلّق الكلمة بأختها في النّص من أوّله إلى آخره، قد تفطّن لها القدامى والمحدثون وعبّر العسكري عن حسن التّأليف والرّصف ودوره في الكلام ومعانيه، قائلا [3]:" **وحسن التّأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ومع سوء التّأليف ورداءة الرّصف والتركّيب شعبة من التّعمية، فإذا كان المعنى سبيّا ووصف الكلام رديّا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة، وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيّدا كان أحسن موقعا وأطيب مستمعا ؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبّة منه إلى ما لا يليق بها، اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا، وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمّى المعنى، وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفظها، وسوء الرّصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها".**

ولقد اقترح **دوب وجراند** مجموعة من المعايير التي سماها " معايير النصية " منها:

---

[1] نفسه، ص 135.

[2] صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1992 م، ص229.

[3] الصناعتين،161.

- **الســـــّـــــبك:**

ويترتب على إجراءات تبدوا العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرّصفي وبشكل يمكننا استعادة هذا الترابط .ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات و التراكيب و الجمل وعلى أمور مثل التكرار و الألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف و الروابط.

و في النّقد الحديث ومناهجه المستوردة نجد ان ما يقصده هو النّظام والرّبط : **Colision** : ويتحقّق به النّظام بشكل جلّي، بحيث يؤدّي السّابق منها اللاّحق، ومن خلال وسائل النّظام الّتي تتمثّل في الرّبط خاصة والتّكرار لذلك فإن النّظام يتعلّق بالترّابط الوصفي وهو معياره.

ومنهم من سمّاه بالاتّساق وحدّده بقوله[1]:" **هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص الخطاب، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو الخطاب برمته".**

فالعسكري في ضربه للأمثلة واستحضاره للشواهد الداعمة لآرائه، حذق المفهوم ورأى ببصيرته مدى الخلل الذى يتركه الكلام الغير منسجم والغير مترابط وعبر عنه بمصطلحات تجمع على معنى واحد ويشرح لنا هاليداي الاتساق فيقول[2]:" **الاتساق هو الكيفية التي يتماسك بها النص، ولكن بشكل مقطع لغوي كلا موحدا يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها ".**

وعليه فالجوهر يكمن في التماسك والتراصف مبنى ومعنى ولعل ما قصده العسكرى هو ما أشار إليه الأستاذ تمام حسان رحمه الله قائلا [3] :" ذلك الترابط الذي يكون بين الكلمات مع بعضها بعض لبيان ما يوصل إلى المقصود من الكلام لفظا كان أو معنى" فالنّقد بشقيّه القديم والحديث تفطّن للمعضلة التي تتجلّى في عمليّة اختيار موقع اللّفظة ومناسبتها لبقيّة الكلمات إشارة ضمنيّة إلى ائتلاف الكلمات ونظمها أو نسق الكلام فهذا **بشر بن المعتمر (ت 210هـ)** جاء في صحيفته ما يشير إلى النّظم عندما قال : **"فإذا وجدت اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية، لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، كانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها "[4].**

فشبّهها بالشّخص الّذى لا يجوز انزاله غير منزله، حفاظا على كرامته ومنزلته، فكيف تنزل قديس و صاحب مروءة وبيان وتقوى في وسط تعمّه الأنذال والرداءة، فهنا خلل جليّ في المبنى، بمعنى لكل مقام مقال، وانزلوا الناس منازلهم اللائقة بهم، كما فرضها الإسلام على أتباعه .

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، 1991م ط1ص 5.

[2] نفسه،ص13.

[3] عبد الله محمد عبد الله الدبيس ، الفكر النحوي عند تمام حسان،2008 م ص110 .

[4] حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، 1979م ص09.

و كيف تكتب قصيدة أو مقطوعة وأنت تمزج بين ألفاظها، فتارة نجد العربي وتارة نجد الفارسي وتارة الهندي ... .

أمّا حبنّكة الميداني فقد ذكر أربعة عيوب لابدّ أن يخلو منها الكلام حتى يكون فصيحا [1] :

- **العيب الأوّل :تنافر الكلمات عند اجتماعها ولو كانت مفردة فصيحة.**
- **العيب الثّاني :ضعف التّأليف.**
- **العيب الثّالث :التّعقيد اللّفظي.**
- **العيب الرّابع :التّعقيد المعنوي.**

6.1.3 السّياق و المتلقّي وترتيب الألفاظ:

بمعنى أن تراعى الطبقة الّتي تخاطبها، فليس الجاهل كالمتعلم وليس العامي كالخاص...، فلابد من انزال الناس منازلهم يقول العسكرى [2] :" **وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السّوقى بكلام السّوقة، والبدوىّ بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب**" وأبو هلال يجعل علم البلاغة يدور على محور هام يتمثل في اللفظ لا المعنى يقول [3]:" **فمدار البلاغة على تخيّر اللفظ وتخيّره أصعب من جمعه وتأليفه**"، ولعلّ غرض العسكري هنا يعبر عنه **موريس بيكام** بوضوح حين قال، عن نوع المستمع [4]:" **تريد أن تقول شيئا، وعلى الّرغم من ذلك ليس باستطاعتها أن تقول شيئا إلّا بوجود شخص يستقبلها ويستجيب لما تريد قوله، وما لم تتوفرّ الاستجابة من جانب شخص ما لا توجد دلالة أو معنى**".

فنلاحظ الاقرار الواضح على مدى صعوبة انتقاء الألفاظ ولولاّ هذه العمليّة لما سميّت حوليات زهير بهذا الاسم والعسكري تطرّق في كتابه إلى التنّقيح اللّفظي وأشار إلى أن دخول التّعقيد، والإغلاق، والتّقعير الوحشيّ من اللّفظ وشدّة تعليق الكلام بعضه ببعض وترك السّلس وكل هذا يكون بواسطة التنّقيح .

ويمنحنا العسكري مثالا عن الوحشيّ قائلا [5] :" **فمثال الوحشيّ قول بعض الأمراء وقد اعتلّت أمّه فكتب رقاعا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام : صين امرؤ ورعى، دعا لامرأة إنقحلة مقسئنّة، قد منيت بأكل الطّرموق ؛ فأصابها من أجله الاستمصال، أن يمنّ الله عليها بالاطرغشاش، والابرغشاش. فكلّ من قرأ رقعته دعا عليها، ولعنه ولعن أمه. الطّرموق ؛ الطين. والاستمصال : الإسهال، واطرغش، وابرغش : إذا أبلّ وبرأ**"

---

[1] عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط .1، 1996 م،1/ 116 ،... 125.

[2] الصناعتين،ص29.

[3] نفسه، ص 23.

[4] ليلى كادة، المكّون التداولي في النظرية اللسّانية العربية، 2012 الجزائر العاصمة ص 325

[5] الصناعتين،ص46/45

7.1.3 الاقتصاد اللّفظي :

هكذا ارتأيت تسميته،كونه يتمثل في تحقيق ملاءمة بين المعنى والمبنى، ويميل إلى الإيجاز وعدم الإسراف في الألفاظ ومدار البلاغة الإيجاز، والعسكري تطرّق إليه و حكم عليه بالنبذ ومثّل له، **يقول :" والضرب الآخر العبارة عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله ويمكن أن يعبّر عنه بأقصر منه. مثل قول النابغة** [1] :

تبيّنت آيات لها فعرفتها *** لستّة أعوام وذا العام سابع**

كان ينبغي أن يقول لسبعة أعوام ويتمّ البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة، فعجز عن ذلك، فحشا البيت بما لا وجه له.

ويشير العسكري إلى الحل لهاته المعضلة وهو حذف فضول الكلام أي زوائده التي لا تترك عيبا او نقصانا عند حذفها يقول [2]:" **وأمّا قوله : "من تعوّد حذف فضول الكلام"، فحذف فضول الكلام هو أن يسقط من الكلام ما يكون الكلام مع إسقاطه تامّا غير منقوص، ولا يكون فى زيادته فائدة"**، لكنه لم يهمل ما يعرف بالتذييّل، وما يحويه من زيادة وتطويل وتكرار.

8.1.3 استعمال اللّفظ في غير محله :

أو ما يعرف بالسّياق اللّغوي وهو الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة، فالكلمة يتحدّد معناه بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية وأبو هلال أشار الى ذلك قائلا:" **ومن عيوب اللّفظ استعماله فى غير موضعه المستعمل فيه، وحمله على غير وجهه المعروف به ؛ كقول ذى الرمة** [3] :

نغار إذا ما الرّوع أبدى عن البرى *** ونقرى عبيط اللّحم والماء جامس**

لا يقال : ماء جامس، وإنما يقال : ودك جامس، وقول جرير :

لمّا تذكّرت بالدّيرين أرّقنى *** صوت الدّجاج وقرع بالنّواقيس**

قالوا : لا يكون التّأريق إلّا أوّل الليل. والدجاج: الديكة هاهنا.

وعليه فالسياق اللغوي يفترض علينا مراعاة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة وهي متجاورة مع نظيراتها، وهذا التجاور يكسبها معنى.

9.1.3 ترتيب الألفاظ:

هي من أهم الملاحظات التي تطرّق إليها العسكري، حيث قال عنها [1] :"**وينبغى أن ترتّب الألفاظ ترتيبا صحيحا فتقدّم منها ما كان يحسن تقديمه، وتؤخّر منها ما يحسن تأخيره ؛ ولا تقدّم منها ما يكون التأخير به أحسن ولا تؤخّر منها ما يكون التقديم به أليق فممّا أفسد ترتيب ألفاظه قول بعضهم:**

---

[1] نفسه،ص48، ديوان النابغة، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ص 49

[2] نفسه، 48.

[3] الصناعتين، ص32.

يضحك منها كلّ عضو لها *** من بهجة العيش وحسن القوام**

تــرفّل في الدّار لها وفرة *** كوفرة المـــــلط الخليـع الغلام**

كان ينبغى أن يقول : كوفرة الغلام الملط الخليع، أو الغلام الخليع الملط ؛ فأمّا تقديم الصفة على الموصوف فرديء فى صنعة الكلام جدّا. وقوله أيضا : " **بهجة العيش وحسن القوام**" متنافر غير مقبول ومنه فأساس النظم" التعلق " ويقصد به التعلق بين الكلمات والوحدات الدالة في السلسلة الكلامية فكل كلمة تقتضي صاحبتها وتطلبها وتأخذ بعناقها وهذه يسميها جون كوين حالة الإسناد الملائم والثانية حالة الإسناد غير الملائم أي التى ذكرها العسكرى ومثل لها، ويخلص كوين الى وجود ما يعرف بوحدة الموضوع التى تمثل التناسق المعنوي الذي يفرضه المنطق في مقابل التناسق الشكلي الذي يفرضه النحو [2]

10.1.3 استعمال الرّباعي والخماسي دون الثّلاثي:

وهذه كذلك واحدة من الظواهر اللّفظية الّتي انتشلها العسكري وتحدّث عنها، وصـــــــحّح حيفها وسدذد زيفها يقول [3] :" **ومن الألفاظ ما يستعمل رباعيّة وخماسيّه دون ثلاثيّه، ومنها ما هو بخلاف ذلك، فينبغى ألّا تعدل عن جهة** الاستعمال فيها، ولا يغرّك أن أصولها مستعملة ؛ فالخروج عن الطريقة المشهورة والنّهج المسلوك رديء على كل حال. ألا ترى أنّ الناس يستعملون «**التعاطى**» فيكون منهم مقبولا، ولو استعملوا «العطو» وهو أصل هذه الكلمة وهو ثلاثىّ والثلاثيّ أكثر استعمالا لما كان مقبولا ولا حسنا مرضيا ؛ فقس على هذا".

فمصطلح مثل هذا وما اكثر نظراءه، يوحى بنوع من التكلّف والتغريب و التّعاظل، وإن كان من صميم اللّغة، و يحطّم قاعدة التّناسب والتّلاؤم بين اللّفظ والمعنى

وهذا ما أشار اليه الناقد الأمريكي كلينث بروكس حين قال [4]:" **إنّ جوهر القصيدة لا يبرز إلا كلاً موحداً، أي يستحيل علينا تجريد الجوهر وصياغته في شكل آخر، لأنّ الجوهر في هذه الحالة هو المركّب الجديد من بناء لا ينفصل عن موسيقاه، والصّور والدّلالات المتشابكة والمواقف المعينة، أي القصيدة ذاتها** "

وكلام العسكري يذكرنا بقاعدة التعميم، و هي التي تقتضي حذف بعض البيانات الجوهرية بطريقة يتم فيها ضياع هذه البيانات كما في القاعدة الأولى لعدم احتوائه.

وكذلك الدكتور بدوي بطانة، الذي يرى أنّ اللّفظ والمعنى حقيقتان متّحدتان، ومنزلتهما واحدة لا تمايز بينهما والعناية بأحدهما عناية بالطّرف الآخر، والاهتمام يجب أن يقسم بالتّساوي لأنّه اهتمام بالعمل الأدبي وزنة للقيمة الفنيّة وليست منزلة المعنى

---

[1] نفسه، 151.

[2] كوين، جون : النظرية الشعرية، بناء اللغة الشعرية، ترجمة أحمد درويش، 1990، ص189 .

[3] الصناعتين، ص149.

[4] محمد عناني، النقد التحليلي :الهيئة المصرية العامة للكتاب ص114.

دون منزلة اللّفظ في تقدير القيمة الفنّية للعمل الأدبي، ولا شك عند المنصفين أّن وجوب مراعاة جانب المعنى لا يقل شأناً عن مراعاة وجوب الاهتمام بالألفاظ [1] .

في حين نجد محمد حسين الصغير يقول [2] :"**إنّ القصيدة تتمتع بشخصية متماسكة حية، وأنها وحدة تتألف من عناصر مختلفة كثيرة، وهي متماسكة ومتوازنة، من حيث الشكل والمحتوى بل يتداخل فيها الشكل والمحتوى على نحو لا يمكن معه تصور كل منهما على حد** " .

ولا يقف العسكري هنا بل يمنحنا قاعدة مدعّمة بشاهد، يقول [3] :" **وتخيّر الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتّفق له أن يكون موقعه فى الإطناب والإيجاز أليق بموقعه، وأحقّ بالمقام والحال كان جامعا للحسن، بارعا فى الفضل ؛ وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوّله يكشف قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن** .

وبلغ أعلى مراتب التّمام، ومن الشعر المتلائم الأجزاء المتشابه الصدور والأعجاز قول أبى النجم :

إنّ الأعادي لن تنال قديمنا *** حتّى تنال كواكب الجوزاء**

كـــم فى لجيم من أغرّ كأنّه *** صبح يشقّ طيالس الظّلماء**

ومجرّب خضل السنان إذا التقى *** زحف بخاطرة الصدور ظلماء**

فجعلته الشّمس بالنهار، والهلال بالليل، وقالت : مفيتا مفيدا، ثم فسرت فقالت : نفوسا ومالا [4].

ولم يتغافل العسكري عن الاستفادة من آراء سابقيه، وإدراجها في كتابه، فقد تطرق لقول بشر بن المعتمر وأورده خدمة وحجة لما تبناه، يقول[5]:" **وقال بشر بن المعتمر :" وإياك والتوعّر ؛ فإن التوعّر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ؛ فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقّهما أن يصونهما عما يدنّسهما ويفسدهما ويهجنهما، فتصير بهما إلى حدّ تكون فيه أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس منازل البلاغة، وترتهن نفسك في ملابستهما، فكن في ثلاث منازل : فأوّل الثلاث أن يكون لفظك شريفا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا. فإن كانت هذه لا تواتيك، ولا تسنح لك عند أوّل خاطر، وتجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصل إلى مركزها، ولم تتّصل بسلكها، وكانت قلقة في موضعها، نافرة عن مكانها، فلا تكرهها على اغتصاب**" .

---

[1] بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، ص 138،139.

[2] محمد حسين الصغير، نظرية النقد العربي رؤية معاصرة، دار المؤرخ العربي، ط، 1 بغداد، ص145.

[3] الصناعتين 141.

[4] نفسه 141.

[5] نفسه 134.

ولعلّ أحسن تعليل لحذف الكلمة الّتي من المفروض ورودها هو تعليل الدكتور محمد أبو موسى حيث [1] :" **يقول لا نجد سرًا وراء هذا الاقتطاع أكثر من أنّ الشّاعر يعلم يقيناً أنّ مراده ظاهر جدًا لأن ذكر سبائب الكتان في هذا السياق كثير، فكلّما ذكر الإبريق مشبهاً بالظبي رأيتهم يذكرون سبائب الكتان، فالحذف أكسب الكلمة خفة ولم يلبس معناها**".

وعليه فالعسكري قد تفطّن للمشكلة واوجد لها حلاّ بل حلولا فلقد وجدناه يركز على إصلاح الخطأ وتبريره بشواهد تحمل المخطئ او المتعلم على التمعن والاستفادة من الغير وهو نفسه قد طرق باب سالفيه ومعاصريه واستفاد منهم .

11.1.3 الابتعاد عن الحشو و تنافر الألفاظ:

وهذه كذلك واحدة من الشروط التي طلبها العسكري في اللفظ حتى يجود ويلقى صدا لدى المتلقي يقول [2]:" فإنّ تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام ؛ ولا يكون ما بين ذلك حشو يستغنى عنه ويتم الكلام دونه. ومثال ذلك من الكلام المتلائم الأجزاء، غير المتنافر الأطرار قول أخت عمرو ذي الكلب:

فأقسم يا عمرو لو نبّهاك *** إذا نبّها منك داء عضالا**

إذا نبّها ليث عرّيسة *** مفيتا مفيدا نفوسا ومالا**

فالتّنافر يصنع كراهة في السّمع وثقلا في التقبّل ووحشة في القلب يقول ابن سنان الخفاجي ضمن حديثه عن شروط فصاحة اللفظة يرى [3]:" **أن تجد للفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها لامن أجل تباعد الحروف فقط، بل لأمر يقع في التأليف ويعرض في المزاج** "

ولعل ضدّ التنافر هي السّهولة و التي يقصد بها أنّ الشاعر يوظّف كلمات تتكوّن من حروف غير متنافرة فيكون نطقها باللّسان سهل وفهم معانيها اسهل، كذلك نادى العسكري بتجنب الحشو أو الزيادة اللفظيّة وهو من عيوب الكلام .

و البلاغة العربية تمقته لأنه يؤدى إلى قتل المعنى والملل وليس أفضل من تجنبه إيراد الإيجاز غير المخل ومطابقة اللفظ لمعناه دون نقص او زيادة وهذه السّمة اللغويّة تعرف بدلالة المطابقة دون زيادة او نقصان،طبعا هنا لايدخل الحشو، و حّددها ابن البنّاء بقوله [4]:" **وهي دلالة اللفّظ بوضعه على جملة المعنى كدلالة لفظ البيت على جملة البيت**".

12.1.3 تكرير الكلمة الواحدة فى كلام قصير:

مع مراعاة القصد من تكرير الكلام في القصيدة، و هدفه المتجلى في التّوكيد و تقوية المعن يرى العسكرى ان التكرار الذي يكون في كلام قصير ممل ومجوج [1] :" ومن عيوب الكلام تكرير الكلمة الواحدة فى كلام قصير : مثل قول سعيد ابن حميد : "

---

[1] د : محمد أبو موسى خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة – القاهرة، ط 2 عام 1980م،ص49

[2] الصناعتين 142

[3] الخفاجي، سر الفصاحة، الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،1982 م سر الفصاحة ص 120

[4] ابن البناء المراكشى، الّروض المريع في صناعة البديع،تح رضوان بنشقرون، المغرب 1985م .مقدّمة المحق قّ، ص22.

ومثّل خادمك بين ما يملك فلم يجد شيئا يفي بحقّك، ورأى أنّ تقريظك بما يبلغه اللسان . وإن كان مقصّرا عن حقك،أبلغ في أداء ما يجب لك فكرر الحقّ في المقدار اليسير من الكلام".

وابن سنان وضّح المسألة قائلا [2] :" **وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ويغض من طلاوتها اظهر من التكرار " فالتكرار عي ونفور واحتقار وجمود ابداعي،وقتل للذة السامع وشغفه.**

13.1.3 مراعاة المقام:

إنّ السّياق والعبارة يشكّلان ثنائيّة تفاعليّة من ناحية التأّثير والتّأثر، فلا يمكن للعبارة أن تنشأ بمنأى عن محيطها ولا يمكن للمحيط او المقام أن يتنصّل من دوره الّريادي لانه يعد قواعد ضرورية في عملية الفهم والافهام، و العرب القدامى سموه بتسميات منها المقام، والحال أو مقتضى الحال، وحتىّ علم الدلالة الوصفي يلحّ اليوم على ضرورة ربط الكلام بسياقه أو الموقف الاجتماعي لأنّ على ضوئه تتضح الدّلالة.

والعسكري أشار الى هذا قائلا [3] :" **واعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال ؛ فإن كنت متكلّما أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخطب، أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد، فتخطّ ألفاظ المتكلمين، مثل الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر، فإنّ ذلك هجنة" .**

وكذلك لابد من مراعاة المستمع ونوعه وبيئته وإيديولوجياته ...

14.1.3 تجنّب الضّرورات:

وأمّا الضرورات القبيحة التي تشين الكلام وتستوحش منها النفس، فهي مخلة بالفصاحة، وهي انواع منها : جعل الألف واللام بمعنى الَّذِي، ومنها مد المقصور، ومنها حذف الواو من –هو– أو الياء من –هي– ترك صرف ما ينصرف زيادة نون للإتباع نحو أن يقال في القطن :القطن، وهو من أقبح من الضرورات ... .

و العسكري يرى أنّه من عيوب اللّفظ ارتكاب الضرورات فيه، كما قال المتلمس [4]:

إن تسلكى سبل المومأة منجدة ** ما عاش عمر وما عمّرت قابوس**

أراد [ما عاش عمرو] وما عمّر قابوس.

ويقول العسكرى مبررا تجنبه للضرورات [5] :" وينبغى أن تجتنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية فإنها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه ؛ وإنما استعملها القدماء فى أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها [(1)]، ولأنّ بعضهم كان صاحب

---

[1] الصناعتين،ص153.

[2] سر الفصاحة،ص117

[3] لصناعتين،ص135.

[4] نفسه،ص 108/109 المومأة : المفازة، وقيل : التى لا ماء فيها ولا أنيس. وعمرو، وقابوس : هما ابنا المنذر بن ماء السماء.

[5] الصناعتين، 150 .

بداية، والبداية مزلة، وما كان أيضا تنقد عليهم أشعارهم، ولو قد نقدت وبهرج منها المعيب كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ويبهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنّبوها، وهو كقول الشاعر :

له زجل كأنّه صوت حاد ** إذا طلب الوسيقة أو زمير**

4- خاتـــــــــــــمة :

نستخلص مما سبق التطرّق إليه، و بعد عملية ترحال وتجوال بين مختلف المحطّات النّقدية والبلاغية التّي تدخل ضمنها ثنائيّة اللّفظ والمعنى، و التي سعينا من خلالها إلى استجلاء المنجز النقدي للعسكري، نرى بأن عملنا هذا ماهو سوى محاولة يسيرة وقطرة من بحر تنوى التقرب بغية اكتشاف آراء الرجل في هاته السّمة النقدية البلاغية .

ونقر بأنّ جهده عظيم رغم أنّه لم يحظ بما يستحق من العناية والمدارسة، وأنّ أقلام الباحثين لم تقم بمنحه نصيبه من التنقيب، ما عدا بعض المحاولات الفردية غير المنتظمة، وقد انتهينا إلى جملة من النتائج المهمة منها على سبيل المثال لا الحصر:

إنّ إسهامات الرجل النقدية لا يستهان بها، ولازالت مغمورة ومطمورة، فهي نقلة نوعيّة في تاريخ النّقد الأدبي العربي، وتضاهى في مرجعياتها ومضامينها ما يتغنى به النقاد اليوم عربا وغربا، كما ألفينا فكر الرجل يتوافق في الجانب الدلالي مع المصطلح الغربي الوافد الى بيئاتنا العربية .

وعليه نرى من خلال هاته الجولة الاستطلاعية، لأهم المحطّات التي أشار إليها أبو هلال العسكري، في خضم حديثه عن اللفظ والمعنى ،أنه قام بدراسة تتمتع بالشّمولية، والعمق والدقّة، وتجلّى ذلك بوضوح من خلال عملية المقارنة بين معاصريه، وسابقيه ولاحقيه، فأحيانا المعنى واحد لكن الاختلاف في الصياغة والمصطلح، وأغلب ما توصّل إليه البحث الحديث والمعاصر، قد مرّ عليه العسكري رغم اختلاف العصر والمكان والظروف، وعوامل ثانوية أخرى، كما أنّ العسكري محّص، وعدّل من النظريات السابقة له، وعمل على تقديم صورة موضوعية تتمتع بالمنطق والنّقد البناء الهادف إلى ترسيخ قواعد، ومبادئ، مبنية على العقلانية بدرجة أولى.

وكل من جاء بعده أشار بطريقة مباشرة، وغير مباشرة، إلى جهده النقدي، والذي كان طرازا فريدا في ذلك العهد لأنه جاء بما لم يأتي به الأوائل.

وعليه نرى أنَّه من الواجب اعتبار ما قدّمه العسكري في مجال النّقد عموما، واللفظ والمعنى خصوصا لبنة جوهرية في تاريخ الأدب العربي خصوصا، ونظرية الأدب عموما، فمقاييسه هي نتيجة استطلاع بعيد الأغوار ومتشعب الأيديولوجيات، وشديد المراس والخبرة والتذوق الممزوج بالفطنة والغربلة، وهذا لا يصدر إلا من رجل موسوعي، قد بذل جهده وقدراته، وطاقاته في المهام الموكلة له، لإنجازها على أتم صورة من الدقة، والشفافية والموضوعية .

ومنه نرى بأنّ أدبنا العربي غنيّ ومتشعّب لا يستهان به ولا بقضاياه وما يتغنّ به الأوربيون اليوم قد عكف عليه العرب القدامى طويلا، سوى أنّهم لم يعملوا على مبدأ الاستمرارية والتطوير، ولا يحق لنا أن نهمل موروثنا البلاغي و النّقدي أو نقوم بعملية اجترار للغرب او استيراد لمناهجهم العقيمة والتي لا تنطبق على بيئتنا ولا على مدوناتنا العربية.

5. قائمة المصادر و المراجع:

1. أبو السعود احمد الفخراني، البحث اللغوي عند اخوان الصفا،مطبعة الأمانة، ط1، 1991 م .
2. الجاحظ، أبو عثمان، البيان و التّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة،1985 م، .
3. ابو هلال العسكري الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت 1986م .
4. ديوان معن بن اوس، رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي .
5. قدامه بن جعفر، نقد الشعر،تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان
6. ديوان امرؤ القيس تصحيح مصطفى عبد الشافي،دار الكتب العلمية .
7. وليم فان أوكونور، النقد الأدبي، ترجمة : صلاح أحمد إبرا هيم، دار صادر، بيروت، 1960 .
8. جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمرى دار توبقال للنشر الدار البضاء المغرب 1986 ط1 .
9. رولان بارث هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياش، مركز الآنماء الحضاري 1999 الطبعة الأول
10. voir Grand Larousse de la langue française Librairie Larousse 1975 Paris. France – tome III matière Figure .

11. فولفغانغ آيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب،، ترجمة :حميد لحمداني، والجيلالي الكدية، فاس، منشورات مكتبة المناهل.
12. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان: ، تح :عبد السلام هارون، القاهرة، 1940 م، ج3.
13. الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي .
14. ابن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل،الجزء الأول، الطبعة الخامسة، 1981م. ج2.
15. محمد محمد يونس علي، المعنى وضلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان ط1، ج1.
16. التهانوي، محمد علي :كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، ج2
17. عبد الرحمان بدوى، الخطابة لأرسطو، دار القلم، بيروت لبنان .
18. ابن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح : محمد محي الدين مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر،ج1
19. ضياء الدين ابن الاثير، المثل الســـــــــــائر، تح :محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر ج1.

20. [1]قدامه بن جعفر، نقد الشعر،تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان .

21. [1]ابن سنان الخفاجي،سر الفصاحة،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1982م.

22. [1]الجاحظ، الحيوان تحقيق :عبد السلام هارون،مـــــــــــــــطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصـــــر،1965م.ج6.

23. [1] ابن الاثير، الجامع الكبير، تحقيق: مصطفى جواد وجميل سعيد،مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1956م.

24. [1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان ،ج4

25. [1] صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1992 م.

26. [1]محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، 1991م ط1.

27. [1] عبد االله محمد عبد الله الدبيس ، الفكر النحوي عند تمام حسان،2008 م .

28. [1] حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، 1979م .

29. [1] عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط .1، 1996 م.

30. [1] ليلى كادة، المكّون التداولي في النظرية اللسّانية العربية، 2012 الجزائر العاصمة .

31. [1]ديوان النابغة، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

32. [1]كوين، جون : النظرية الشعرية، بناء اللغة الشعرية، ترجمة أحمد درويش، 1990م.

33. محمد عناني، النقد التحليلي :الهيئة المصرية العامة للكتاب .

34. بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث.

35. محمد حسين الصغير، نظرية النقد العربي رؤية معاصرة، دار المؤرخ العربي، ط، 1 بغداد.

36. د : محمد أبو موسى خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة – القاهرة، ط 2 عام 1980م.

37. الخفاجي، سر الفصاحة، الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،1982 م سر الفصاحة .

38. ابن البناء المراكشي، الرّوض المريع في صناعة البديع،تح رضوان بنشقرون، المغرب 1985م .مقدّمة المحقّق .